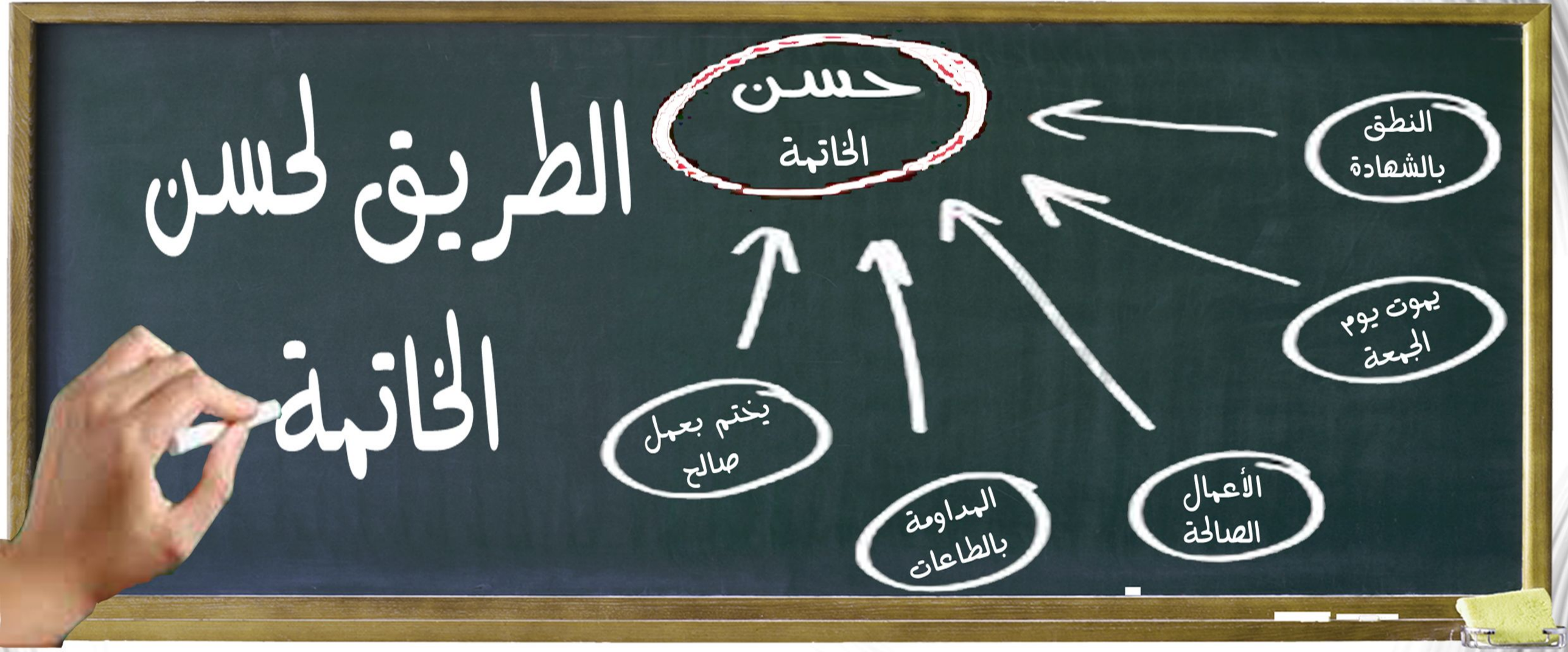

إن الله غني لا تضره معصية ولا تنفعه طاعة

وآخر ساعة في حياة الإنسان هي الملخص لما كانت عليه حياته كلها فمن كان مقيمًا على طاعة الله عز وجل بدا ذلك عليه في آخر حياته.

وحسن الخاتمة هي أن يوفّق العبد قبل موته للتوبة عن الذنوب والمعاصي والإقبال على الطاعات وأعمال الخير ثم يكون موته بعد ذلك على هذه الحال الحسنة.

ومما يدل على هذا ما روى أحمد في مسنده قال :

(إذا أراد الله بعبده خيرًا استعمله)) ، قالوا: كيف يستعمله؟ قال : ((يوفقه لعمل صالح قبل موته).

ومن العلامات

رضا الله وهي ان يظهر بها للعبد حسن خاتمته ما يُبشّر به عند موته من رضا الله تعالى واستحقاقه كرامته تفضلاً منه تعالى كما قال الله تعالى:{ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألاّ تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون** } [فصلت].

وهذه البشارة تكون للمؤمنين عند احتضارهم وفي قبورهم وعند بعثتهم يوم القيامة.

وفي الصحيحين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**المؤمن إذا بُشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله ، وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله وكره الله لقاءه**).

الموت على عمل صالح

ومن علامات حسن الخاتمة الموت على عمل صالح لما رواه أحمد في مسنده قال :

(من قال: لا إله إلا الله ابتغاء وجه الله وختم له بها دخل الجنة ، ومن صام يوما ابتغاء وجه الله خُتم له بها دخل الجنة ، ومن تصدق بصدقة ختم له بها دخل الجنة).

ولكي يدرك العبد المؤمن حسن الخاتمة فينبغي له أن يلزم طاعة الله وتقواه والحذر من ارتكاب المحرمات فقد يموت عليها والمبادرة إلى التوبة من الذنوب.

فالأعمال الصالحات سبب كل خير في الدنيا والآخرة وأعظم الأعمال وأفضلها أعمال القلوب كالإيمان والتوكل والخوف والرجاء والرغبة والرهبة وحب ما يحب الله وبغض ما يبغض الله وتعلق القلب بالله وحده في جلب كل نفع ودفع كل ضر.

بشارة وتخويف

بشارة لمن تاب وأصلح عمله قبل الموت بأنه إذا ختم له بعمل أهل الجنة كان من أهلها وتخويف للمؤمن الطائع من أن يزل ويعمل بعمل أهل النار خشية أن يحضره أجله وهو على هذه الحالة فيدخلها والعياذ بالله.

فعن أبي هريرة وسهل بن سعد رضي الله عنهما أن النبي قال: (**إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار، فيختم له بعمل أهل الجنة فيدخلها**) [البخاري ومسلم].

وللناس في خاتمتهم أقسام :

اولا): أشرفها من كان في حياته مؤمنا صالحا فلما قرب أجله ازداد اجتهادا في العبادة فمات على أكمل أحواله وعلى رأس هؤلاء رسول الله فإنه لما قرب أجله اعتكف في رمضان عشرين يوما وكان قبل ذلك يعتكف في كل عام عشرة أيام وختم القرآن على جبريل مرتين في رمضان وكان يختمه عليه قبل ذلك مرة وحج حجة الوداع وكان يقول :(**ما أرى ذلك إلا لاقتراب أجلي**).

ثانيا): من كان في حياته كافرا أو فاسقا فلما قرب أجله أسلم وتاب واستقام وحسن عمله فمات على ذلك كالرجل الذي قتل مائة نفس ثم تاب وذهب إلى قرية فيها صالحون ليعبد الله معهم فمات في الطريق فقبضته ملائكة الرحمة والحديث في الصحيحين عن أبي سعيد رضي الله عنه.

ثالثا): من كان في حياته كافرا أو فاسقا فازداد قبل حلول أجله فسقا وكفرا فمات على أسوأ أحواله.

رابعا): من كان في حياته مؤمنا ثم كفر أو صالحا ثم فسق والعياذ بالله فمات على ذلك فهذا أعظمهم حسرة وندامة وهذه التي خافها الصالحون.

قال سفيان الثوري رحمه الله :

((**الذنوب أهون علي من هذه وأشار إلى تبنة كانت في يده وإنما أخاف من سوء الخاتمة**)).

قال تعالى:

﴿ **ومن يرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ [البقرة].

اخي المسلم اختي المسلمة

الأعمال الصالحة سبب لكل خير في الدنيا والآخرة والعبد مأمور بالطاعات ومنهي عن المحرمات في جميع الأوقات والعمل الصالح في كل ساعة من العمر وفي آخر العمر وفي آخر ساعة لقول النبي صلى الله عليه وسلم

(إنما الأعمال بالخواتيم)

[رواه البخاري].